الظواهر البلاغية في الأحاديث النبوية
دراسة تطبيقية في
كتاب عمدة القاري للعيني نموذجا

أ/ عبد الرحيم ثابت
طالب دكتوراه
التفسير وعلوم القرآن
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة

ملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات البيانية المهتمة بالبلاغة النبوية، وهي تهدف إلى بيان عناية شراح السنة النبوية بالبلاغة، ومدى إسهامهم في إثراء الدرس البلاغي في الحديث النبوي من خلال تحليلهم لتلك المباحث البلاغية، وبيان كيفية معالجتهم وتناولهم لها، بغية الوقوف على جهدهم البلاغي، ومكانتهم في هذا الفنّ وتمرسهم به، وفي هذا خدمة للسنة النبوية من الجانب اللغوي، وبيان لإعجازها في الجانب البياني شأنها شأن القرآن باعتبارها ثاني مصادر التشريع الإسلامي.

Summary

This study aims to demonstrate the interest above the prophetic and and explanations of the interest of the interpretations of sunnah in rhetoric and their contribution in enriching the rhetoric lesson in the prophetic tradition trough analyzing these rhetoric researches and explaining the way of handling them to As well as showing their effort and their status in this art also their experience.

This is a service to the prophetic tradition from the linguistic side and its inimitability in the demonstrative side; just like Kuran as it is considered the second source of Islamic legislation.

تمهيد

إنّ أجلّ نعمة أسبغت على البشرية، وخير منة حظيت بها الأمة المحمدية القرآن الكريم، خير كتاب أنزل على أفضل رسول أرسل، تكفّل المولى جَلَّوَعَلَا

المنارة للاستشارات

بحفظه، فأفحم البلغاء عن معارضته، والإتيان بمثله، وحار أرباب الحجا في بلاغته، وبهر الخطباء في جزالة لفظه، ورصانة أسلوبه ومتانته، وأعيى الشعراء عن مضاهاته، والنّظم على منواله ومحاكاته، ففاقت بلاغته بلاغة العرب وفصاحتهم، فأذعنوا له وعجزوا عن معارضته بسورة واحدة، وإذا كان القرآن الكريم وحيا من عند الله تعالى يقع في الرتبة الأولى في مصادر التشريع، فإنّ سنته ﷺ وحي كذلك من عند الله تعالى، وإن تأخرت في الرتبة عن القرآن إلاّ أنّها راجعة إليه، فهي تفصيل لمجمله، وبيان لمشكله، وبسط لمختصره، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعامه، ومنتهى ذلك وجماعه أنّها بيان له، فكل قول أو فعل أو تقرير منه ﷺ وحي من عند الله تعالى، وراجع إلى القرآن الكريم.

ولمّا كانت السنة كذلك أي ـ وحيا من عند الله ـ، فإنّه كان لزاما أن يكون فيها ما كان في القرآن من قوة البلاغة والفصاحة حتّى يحصل بها التحدي والاعجاز، وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، وأيّد بفصاحة المنطق، وحسن القول، وقوة الاقناع، وبراعة التفنن في الأساليب، وقد كانت له مقومات وعوامل أهلته لاكتساب هذه الفصاحة والبلاغة، ويأتي في مقدمة هذه العوامل والمؤهلات التوفيق الرّباني، والرعاية الإلهية، فإنّه ﷺ ظهر على أناس قد نبغوا في الأدب وحبّروه، وبرعوا في الشعر وهذّبوه، وأوتوا معشار ما أوتوا من الفصاحة والبيان مما يشنف الأسماع، ويسحر الأذهان، ويأخذ بالقلوب والأبدان.

وقد كان من تمام التكليف، وتمام التأييد والإعانة والنصرة، أن يخصه جَلَّوَعَلَا بقوة الفصاحة والبلاغة، ويزينه بالمنطق الحسن، حتّى يستطيع قرع الخصوم، ومجابهة الأعداء، وتقوى حجته في البيان، ولله درّ الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله إذ يقول في صدد هذا المقام «... فليس إلاّ أن يكون ما خصّ به النبي ﷺ من ذلك قد كان توفيقا وإلهاما من الله، أو ما هذه سبيله ممّا لا ننفذ في أسبابه، ولا نقضى فيه بالظن فقد علّمه الله، من أشياء كثيرة مالم يكن يعلم، حتّى لا يعيى بقوم إن وردوا عليه، ولا يحصر إن سألوه، ولا يكون في كل قبيل إلاّ منهم، لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح، وليعلم أنّ ذلك له خاصة من دون العرب، فهو يفي بهم في هذه الخصلة البيّنة، كما يفي بهم في خصال أخرى كثيرة....»[1]، وثاني المقومات والمؤهلات

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرّافعي، ط1، القاهرة، مكتبة الإيمان، 1417هـ/1997، ص236.

مجلة المعيار
المنارة للاستشارات

لاكتساب هذه الفصاحة البيئة التي نشأ وترعرع، وتربى فيها ﷺ، فقد ولد في قريش التي كانت من أفصح العرب، وأبلغهم، وأعلمهم باللسان العربي، ولا ريب أنّ البيئة لها دور كبير في التنشئة والتكوين، بما تفرضه من طبيعة الخلطة والمحاكاة، والتحاور، والتخاطب، وترعرع ونشأ ﷺ في ديار بني سعد التي كانت كذلك من أفصح قبائل العرب، فهاتان القبيلتان كانتا لهم الأثر الأكبر في نشأته البلاغية ﷺ، وهو من صرّح بذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا أفصح العرب، بيد أنّي من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر»[1].

وبالجملة فإنّ بلاغته ﷺ بلغت المنتهى، وأجمع عليها جماهير العلماء، وطوائف الأدباء، فكلامه ﷺ، مستوحى من مشكاة النبوة،محلى بلآلئ الحكمة، مؤيد بتوفيق الإله الكريم، وما أحسن كلام الإمام الجاحظ رحمه الله الذي وصف فصاحته بقوله: «هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حفّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، ويسّر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة بين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام...»[2].

ولقد عني المسلمون بسنة النبي ﷺ كعنايتهم بكتاب الله تعالى، وقد نال الصحابة رضوان الله عليهم قصب السبق، في الاعتناء بها، فحرصوا على تتبع أقواله وأفعاله ﷺ، ونقلها، فحفظت لنا كتب الرواية والسير والطبقات صورا من عنايتهم بالسنة والحديث، فكانوا يتناوبون مجلسه ﷺ، وكانوا يقطعون المسافات من أجل سماع حديث واحد، واقتفى أثرهم في تتبع السنن والآثار والرحلة في تحصيل الحديث، تابعوا هذه الأمة رضي الله عنهم، فحرصوا على لقاء الصحابة للنهل من علومهم، والاغتراف من معينهم الذي لا ينضب، وقد

(1) أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، رقم5437، ج6، ص35-36، قال ابن حجر الهيثمي: «وفيه مبشر بن عبيد وهو متروك، وقال السيوطي: «لا يعلم من خرّجه ولا إسناده»، ينظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: نور الدين علي بن محمد بن سلطان الملا على القاري، د ط، ت محمد الصباغ، بيروت مؤسسة الرسالة، 1391هـ/1971، ج1، ص117.

(2) البيان والتبيين، ط1، تحقيق المحامي فوزي عطوي، لبنان، دار صعب، 1968م، ج1، ص221.

المنارة للاستشارات

أسفرت هذه الجهود المضنية للتابعين رحمهم الله تدوين السنة النبوية، فقد عمدوا إلى جمع سنته ﷺ وتدوين حديثه، فظهرت بذلك المصنفات الحديثية، تباينت فيها مناهج أصحابها، واختلفت طرقهم في كتبهم، من مصنف على المسانيد، إلى مصنف على الأبـواب، فمنذ القرن الثاني للهجرة و هذه المصنفات بدأت تلوح في الأفق وتظهر في الوجود، كأمثال الموطأ للإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، النسائي، وبن ماجة، وغيرهم من المحدثين.

وقد تلقى علماء الإسلام هذه المصنفات وأمثالها بالقبول، والرضى التام، فعكفوا عليها بالحفظ، والشرح، والتدريس اعتناءً منهم بسنته ﷺ، ولقيت من الحظوة في قلوبهم ما لا يعلمه إلاّ من عاشها قراءة، وحفظا، وشرحا، وتدريسا، فظهرت لعلماء الإسلام مصنفات شرحوا فيها هذه الكتب واستخرجوا ما فيها من خبايا الكنوز والجواهر العلمية، وكل أفاض واجتهد في شرحها بحسب ميولاته وتخصصاته العلمية، فإنّه يطغى على العالم، فنّ من فنون الشريعة يتبحر فيه، فيوظف ذلك التخصص في تفسير القرآن الكريم،أو شرح كتاب من كتب السنة.

ولقد أحببت في هذا المقال أن أتناول الجوانب البلاغية، والنكات البيانية التي أودعها شراح السنة في مصنفاتهم، ممّا يبرز، ويظهر الجانب الإعجازي في الحديث النبوي، من الوجه البلاغي، ويبين الحسّ البلاغي والذوق الأدبي عند المحدّثين، وأنّهم لم يكونوا بمعزل عن هذا الجانب، وقد وقع اختياري على شرح لشيخ من شيوخ الإسلام على كتاب عظيم من كتب السنة ألا وهو صحيح البخاري، والشرح هو شرح الإمام البدر العيني الموسوم بعمدة القاري في شرح صحيح البخاري، والذي دفعني لذلك جملة من الأسباب:

أولا: القيمة العلمية لهذا الشرح من بين الشروح الموضوعة على صحيح البخاري.

ثانيا: إلمام الإمام العيني رحمه الله بعلم البلاغة، مع التأليف والتصنيف فيها.

ثالثا: حرصه على إبراز النكات البلاغية في شرحه،وتحليلها.

ثالثا:بيان عناية المحدثين باللغة العربية وعلومها، وسمو ذوقهم الأدبي

المبحث الأول: عناية المحدّثين باللغة والأدب

- **المطلب الأول: الاستشهاد بالحديث النبوي عند النحاة**

من المسائل المتنازع فيها بين النحاة مسألة الاستشهادبالحديث النبوي

المنارة للاستشارات

والاحتجاج به في القضايا النحوية، فذهبت طائفة من النحاة إلى الاحتجاج به مطلقا، يتقدمهم في ذلك ابن فارس، وابن جنّي، والحريري، وابن خروف، وابن سيده، والسهيلي، وابن مالك، وابن هشام الأنصاري،في حين ذهبت طائفة أخرى من النحاة إلى منع الاحتجاج به مطلقا، يتقدمهم في ذلك ابن الصائغ،و أبو حيان الأندلسي، محتجين في ذلك بإباحة المحدثين لرواية الحديث بالمعنى، وبالتالي وقع اللحن في كثير من الأحاديث، لأنّ أغلب الرواة أعاجم، بعيدون عن اللغة العربية، ومعضدون مذهبهم بامتناع النحاة واللغويين الأوائل من الاحتجاج به، كأمثال أبي عمرو بن العلاء البصري، وسيبويه، والخليل الفراهيدي، والكسائي، والفرّاء، وذهبت طائفة ثالثة إلى مذهب وسط بين المذهبين السابقين، وهو جواز الاستشهاد بالحديث النبوي بشرط أن يكون موافقا للفظ المروي عن النبي ﷺ، ويتقدم هذا الاتجاه الامام الشاطبي، والإمام السيوطي.

فالناظر لأقوال المذهب الثاني المانعين من الاستشهاد بالحديث بحجة كون أغلب الرواة أعاجم، يجعلنا نتساءل هل كان المحدثون بعيدن عن اللغة العربية، نحوا، وصرفا، وشعرا، وبلاغة، وفصاحة، وبالتالي لم يكن لهم ذوق أدبي، ولا حس بلاغي، ولا اطلاع بالنحو وعلوم اللغة، حتّى أوقعهم هذا البعد فيما أوقعهم فيهم ممّا نقرأه عنهم في هذه المسألة، وهذا ما أبغي الجواب عنه في هذا المبحث

• **المطلب الثاني: نماذج من عناية المحدثين باللغة والأدب**

إنّ الواقع يكذب ويدحض كل الدّعاوى القائلة بأنّ المحدثين لم يكن لهم كبير إلمام باللغة ولا كثير اهتمامبجميع علومها، فعند الوقوف على سير كثير من المحدثين في كتب التراجم والطبقات يتضح لنا أنّ رواة الحديث الأوائل كانوا أئمة في اللغة، وشيوخا في العربية، وفيهم الخطباء، والفصحاء والشعراء، ولقد وقفت على تراجم لبعض الأعلام منهم ممّن اشتهر بالصناعة اللغوية، أحببت أن أورد بعضا منهم للتدليل على تعمق هؤلاء في العربية، وإلمامهم بها

• **الإمام حمّاد بن سلمة**

حماد بن سلمة بن دينار مولى ربيعة بن مالك، الإمام المشهور، إمام الحديث، وشيخ أهل البصرة في العربية، ذكره السيرافي في نحاة البصريين، سئل يونس: أيّما أسنّ أنت أو حمّاد ؟ فقال حمّاد، ومنه تعلمت العربية،

المنارة للاستشارات

وقال الجرمي ما رأيت أفصح منه، وكان يقول من لحن في حديثي، فقد كذب علي، وكان سيبويه يستمل عليه يوما، فقال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد من أصحابي، إلاّ وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء، فقال: سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال حماد: لحنت يا سيبويه، فقال لا جرم لأطلبّن عمّا لا تلحنني فيه أبدا، ثمّ لزم الخليل...، قال الذهبي رحمه الله: «كان إماما رأسا في العربية فصيحا بليغا، كبير القدر، صاحب سنة، شديدا على المبتدعة، زاهدا حجة، روى له مسلم، والأربعة...»[1].

• **سليمان بن معبد أبو داود السنجي المروزي**

قال الخطيب البغدادي: «سمع النضر بن شميل، والأصمعي، وجماعة، ورحل في العلم إلى العراق والحجاز، ومصر، واليمن، وقدم بغداد، وروى عنه مسلم بن الحجاج، وغيره، وكان ثقة مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين»[2]، وقال الصفدي: «كان محدثا حافظا فصيحا نحويا، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين...»[3]، ولقد نقل الحافظ ابن أبي حاتم شيئا من شعره رثى به الحافظ يحيى بن معين، من ذلك قوله:

أمن حدثان الدهر أنت مروع ... وعينك من فرط الصبابة تدمع
مري دمعك المكنون ما ضمن الحشا ... من الوجد تبكي تارة وتوجع
لئن هملت عيناك من لوع الأسى ... لمثل الذي أذرى دموعك يفجع[4]

• **الإمام الخطابي**

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب، من ولد زيد بن عبد الله، أخي عمر رضي الله عنه، قال الإمام الثعالبي: كان يشبه في زمانه بأبي عبيد القاسم بن سلام، وقال السّمعاني: كان حجة صدوقا له من التصانيف، غريب الحديث، شرح

---

(1) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،، جلال الدين السيوطي، د.ط، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، د.ت، ج2، ص5.

(2) تاريخ بغداد، د.ط، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت، ج17، ص65.

(3) الوافي بالوافيات، د.ط، تحقيق أحمد الأرناؤوط، أحمد تركي، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ/2000، ج13، ص234.

(4) انظر: الجرح والتعديل، ط1، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، 1271هـ/1952. ج2، ص30.

المنارة للاستشارات

البخاري، شرح أبي داود، ولد سنة عشرة و ثلاثمائة، وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة.[1]

• **ابن خالويه**

الإمام الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان أبو عبد الله الهمداني النحوي، إمام اللغة والعربية، وغيرهما من العلوم الأدبية، دخل بغداد طالبا للعلم سنة أربع عشرة، و ثلثمائة، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، والنحو، والأدب على ابن دريد، ونفطويه، وأبي بكر الأنباري، وأبي عمر الزاهد، وسمع الحديث من محمد بن مخلد العطار، وغيره، وأملى الحديث بجامع المدينة[2].

المبحث الثاني: ترجمة الإمام العيني

• المطلب الأول: حياته ومؤلفاته العلمية

هو العلامة محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود البدر، أبو محمد وأبو الثناء بن الشهاب الحلبي الأصل العنتابي المولد، ثمّ القاهري الحنفي يعرف بالعيني، انتقل أبوه من حلب إلى عنتاب من أعمالها، فولي قضاءها، وولد له البدر بها في سابع عشر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة، فنشأ بها وقرأ القرآن.

ثمّ لازم في بلده عنتاب شيوخا أجلاّء تخرّج عليهم منهم العلامة الشمس محمد الراعي بن الزاهد الذي أخذ عنه العربية والصرف والمنطق ونظائرهما، وأخذ الصرف والفرائض السراجية عن الشيخ البدر محمود بن محمد العنتابي، وقرأ المفصل في النحو للزمخشري، والتوضيح مع متنه التنقيح على الشيخ الأثير بن جبريل بن صالح البغدادي، وقرأ المصباح في النحو على الشيخ خير الدين القصير، ولازم في علم البيان والمعاني، ودراسة الكشاف للزمحشري الشيخ الفقيه عيسى بن الخاص بن محمود السرماوي، ارتحل إلى حلب في سنة ثلاث وثمانين، فقرأ على الجمال يوسف الملطي، أصول البزدوي، ومتن الهداية في الفقه الحنفي، ثمّ خرج إلى أداء مناسك الحج، ودخل دمشق، وزار بيت المقدس، فلقي فيها العلاء أحمد بن محمد السيرامي الحنفي، فلازمه واستقدمه للقاهرة معه، فاستقر بها وأخذ عن الامام البيلقيني محاسن الاصطلاح في مصطلح الحديث، وسمع الشاطبية على العسقلاني،

(1) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص411.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص399.

المنارة للاستشارات

وسمع على الزين العراقي صحيح مسلم، والإلمام في أحاديث الأحكام للإمام ابن دقيق العيد، وقرأ على التقي الدجوي الكتب الستة، وبعض أمهات السنة.

وقد تقلد في مصر عدة مناصب، منها حسبة القاهرة سنة احدى وثمان مئة، وتولى التدريس بالمدرسة المحمودية، والمؤيدية، وتولى قضاء الحنفية، وفي سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة عزل ﷺ عن النظر في الأحباس والأوقاف، فلزم بيته، وعكف على التدريس والتصنيف والجمع، حتّى توفي ليلة الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائة، ودفن من الغد بمدرسته التي أنشأها، بعد أن صلّى عليه العلامة المناوي بالأزهر عليه رحمة الله، ولقد خلّف رحمه الله ثروة علمية في شتّى العلوم النقلية والعقلية، نظرا لتنوع ثقافته، وتوسع معارفه، فقد ألمّ بعلوم جمة،فممّا تركه من المؤلفات:

- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، وشرح معاني الآثار للإمام الطّحاوي،و شرح سنن أبي داود، وله رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق في الفقه، وله شرح كتاب التسهيل لابن مالك في النحو،وله طبقات الشعراء، وطبقات الحنفية في التراجم، ولهتحفة الملوك في المواعظ والرقائق[1].

- **المطلب الثاني: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه**

قد شهد للحافظ البدر العيني بالإمامة في الدين، والتبحر في علوم الشريعة، والتفنن في تدريسها، وتصنيفها، أئمة أجلاء من حفاظ السنة، وفقهاء الملة،ممّن تخرّج على يديه، وممّن جاء بعده قال في حقه الإمام السّخاوي رحمه الله «وكان إماما عالما علامة عارفا بالصرف والعربية وغيرها، حافظا وللتاريخ واللغة كثير الاستعمال لها مشاركا في الفنون ذا نظم، وذا نثر، مقامه أجل منهما لا يمل من المطالعة والكتابة، كتب بخطه جملة، وصنّف الكثير، بحيث لا أعلم بعد شيخنا أكثر تصانيف منه، وقلمه أجود من تقريره، وكتابته طرقة حسنة مع السرعة، حتّى استفيض عنه أنّه كتب القدوري في ليلة، بل سمع ذلك منه العز الحنبلي، وكذا قال المقريزي، أنّه كتب الحاوي في ليلة، اشتهر اسمه، وبعد صيته، مع لطف العشرة والتواضع»[2].

وقال ابن خطيب الناصرية: «وهو إمام عالم فاضل مشارك في علوم وعنده

---

(1) الضوء اللّامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرّحمان السّخاوي، د ط، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت، مج5، ص131-135.

(2) المصدر نفسه: مج5، ص133.

المنارة للاستشارات

حشمة، ومروءة وعصبية، وديانة»[1].

• **المطلب الثالث: المنهج العلمي للبدر العيني في شرحه وقيمته العلمية**

افتتح الإمام العيني شرحه بمقدمة ذكرها فيها منزلة السنة في التشريع الإسلامي، واجتهاد كثير من العلماء في جمع سنة النبي ﷺ، منهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الذي صنّف كتابا فاق أمثاله ممّا وضعه العلماء في جمع السنن، وأجمع أهل الملة على عظيم مصنفه، وتلقي الناس له بالقبول، وعكوفهم على تدريسه، وتصدي كثير منهم لشرحه، وقد كانوا متفاوتين في مناهجهم، ثمّ إنّه خلج في خلده أن يشرح هذا الكتاب، خصوصا بعد رحلته للبلاد الشمالية، ووقوفه على بعض النوادر من مشايخه في ما يتعلق بشرح هذا المصنف، وبعد نزوله للديار المصرية شجعته أمور على شرح هذا الكتاب وهي:

ـ أنّ في الزوايا خبايا، وأنّ العلم من منايح الله عزّ وجل ومن أفضل العطايا، والثاني إظهار ما منحه الله من فضله العزيز، واقداره إيّاه على أخذ شيء من علمه الكثير، وأنّ الشكر ممّا يزيد النعمة، ومن الشكر إظهار العلم للأمة، والثالث كثرة إلحاح أصحابه عليه بالتصدي لشرح هذا الكتاب، حتّى أجابهم لمطلوبهم، ولبّى مقصودهم، فجاء هذا الشرح تحت عنوان عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، وقد ابتدأه سنة احدى وعشرين وثمان مئة، وفرغ منه سنة سبع وأربعين وثمان مئة على ما ذكره الإمام القسطلاني، وأمّا عن منهجه في هذا الشرح والخطوات التي تبعها في كتابه، فإنّ المطالع للكتاب والمتصفح له يجده رحمه الله، قد وضع خطة سار عليها طيلة شرحه، واجتهد في الالتزام بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا بحسب ما يسعفه من المادة العلمية، ويستهل شرحه للحديث بذكر مناسبة الحديث للترجمة، وذلك بقوله: «بيان تعلق الحديث بالترجمة»، ثمّ يتحدث عن رجال الحديث بقوله: «بيان رجاله»، ثمّ يعقبه بضبط رجال الحديث، وبيان الأنساب، ثمّ الحديث عن فوائد تتعلق برجال الحديث بقوله: «بيان فوائد تتعلق بالرجال»، ثمّ بيان لطائف الإسناد، ثمّ بيان نوع الحديث من ناحية الغرابة، والتواتر، والانفراد وغيرها، ثمّ يتحدث عن تعدد رواية الحديث في صحيح البخاري مع بيان من أخرجه من بقية العلماء

(1) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب: علاء الدين بن خطيب الناصرية، نقلا من كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسّخاوي، ج10، ص133.

المنارة للاستشارات

كالإمام مسلم، وأبي دواد، والترمذي، وغيرهم، ثمّ يتطرق إلى بيان اختلاف ألفاظه، ثمّ يعرّج لبيان اللغة، وبعدها بيان الإعراب، ثمّ بيان المعاني، ثمّ بيان البيان، ثمّ بيان البديع، ثمّ يعقد عنوان للأسئلة والأجوبة، لكنّه لم يسر على هذا النمط، فقد انقطعت كثير من المباحث في باقي الشرح.

لقد كان للإمام البدر العيني رحمه الله تكوين علمي متين، في مختلف علوم الشريعة، والذي يهمنا منها علوم اللغة بما فيه النحو، والصرف، والبلاغة، فمن خلال الوقوف على سيرته، وترجمته اتضح لنا بجلاء أنّه عني بالتأصيل العلمي في علوم اللغة، ويظهر ذلك من خلال الكتب التي درسها في مرحلة الطلب، والتلقي، والشروحات التي وضعها على كثير من المتون العلمية في النحو، والصرف، والبلاغة، وكذلك في مصاحبته وملازمته للمشايخ الذين اعتنوا بهذه الفنون، فقد ذكر السّخاوي في ترجمته أنّه قرأ المفصل في النحو للزمخشري، وقرأ المصباح في النحو كذلك، كما أنّه شرح كثيرا من المتون النحوية، والصرفية، كالألفية لابن مالك، وكذلك كتاب التسهيل في النحو لابن مالك، وله تذكرة في النحو، ومقدمة في الصرف، وفي العروض، وفي مجال البلاغة، فقد قرأ رحمه الكثير من كتب هذا الفن، ولازم المشايخ المتبحرين في هذا الميدان، كما حكى هو عن نفسه فيما نقله عنه ابن تغربردي، فيما حكاه العيني عن شيخه علاء الدين أحمد بن محمد السيرامي الحنفي بقوله: «وسمعت عليه أكثر الهداية، وبعض الكشاف من أوائله، وشرح التنقيح للسعد التفتازاني، إلى باب القياس، وشرحه على التلخيص...» أي شرح التفتازاني على كتاب التلخيص في علوم البلاغة للقزويني، كما أنّه قرأ على العلامة الفقيه عيسى بن الخاص بن محمود السرماوي، غالب الكشاف قراءة بحث، واتقان، ومفتاح العلوم للسكاكي، والتبيان في المعاني والبيان لصاحب الكشف عن الكشاف العلامة الطيبي.

ولذا فإنّي سأحاول الوقوف على مدى توظيف الإمام العيني رحمه الله لعلم البلاغة في شرح الأحاديث النبوية، وحرصه على إبراز الجوانب البلاغية، والنكات البيانية في الحديث النبوي وذلك بالتعرض لبعض الأحاديث التي شرحها من صحيح البخاري، وقد حصرت هذا البحث في الكلام على ثلاثة فنون من علم البيان، وهي التشبيه، والاستعارة، والكناية.

إنّ الذي دفعني واستحثني على اختيار هذه الفنون الثلاثة من علم البيان هو عظيم موقعها من البلاغة العربية عموما، ومن علم البيان خصوصا، ومزيتها

المنارة للاستشارات
ww

في تحسين الكلام، وفضلها في تزيينه، وقد قال إمام الصناعة عبد القاهر الجرجاني في حقها عند حديثه عن التشبيه والتمثيل، والاستعارة ما نصه: «وأول ذلك وأولاه، وأحقه بأن يستوفيه النظر، ويتقصاه القول على التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، فإنّ هذه أصول كبيرة، كأنّ جلّ محاسن الكلام إن لم نقل: كلها متفرعة عنها، وراجعة إليها، وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها...»[1]، وقال في موضع آخر: «لا يجهل المزية فيها إلاّ عديم الحس ميّت النفس، وإلاّ من لا يكلم، لأنّه من مبادئ المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى»[2].

ولقد ارتأيت الحديث عنها من خلال شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري، وأبتدئ الحديث أولاّ عن التشبيه، ثمّ الاستعارة، ثمّ الكناية.

المبحث الثالث: التشبيه في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري

• المطلب الأول: تعريفه التشبيه

التشبيه: لغة هو التمثيل

اصطلاحا: «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بآلة مخصوصة، كالكاف ملفوظة أو مقدرة»[3]، وأركانه أربعة، وجه الشبه، وأداة التشبيه، وطرفاه، كقولنا زيد كالأسد في الشجاعة، فالوجه هو المعنى الجامع بين زيد والأسد وهو الشجاعة، والأداة آلة وهي الكاف، والطرفان زيد، والأسد[4]، والغرض من التشبيه في الأغلب يعود إلى المشبه، وقد يعود إلى المشبه به، فمن الأغراض التي تعود إلى المشبه منها بيان أنّ وجود المشبه ممكن، ومنها بيان حاله، ومنها تقرير حاله في نفس السامع، ومنها تزيينه للترغيب فيه، ومنها تشويهه للتنفير عنه، ومنها استطرافه، وأمّا ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه، فمنها الإيهام أي إيهام أنّ المشبه به أتمّ من المشبه في وجه الشبه، وذلك في

(1) أسرار البلاغة، ط1، القاهرة، دار ابن الجوزي، 1431هـ/2010، ص15-16.

(2) انظر: دلائل الإعجاز، ط3، تعليق محمود محمد شاكر، مصر، مطبعة المدني، 1413هـ/1992، ص430.

(3) انظر: حلية اللب المصون في شرح الجوهر المكنون، أحمد الدمنهوري، مصر، المطبعة الأزهرية المصرية، 1309هـ، ص128.

(4) المصدر نفسه: ص128.

المنارة للاستشارات

التشبيه المقلوب، ومنها بيان الاهتمام به[1].

وبالجملة فالتشبيه له أثر ومزية في تحسين الكلام وتزيينه، وما أجمل قول الإمام أبي هلال العسكري، وهو يتحدث عن أثره في الكلام فقال: «التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب، والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، قد جاء عن القدماء، وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه، وموقعه من البلاغة»[2].

• **المطلب الثاني: التشبيه في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري:**

إنّ الصورة التشبيهية في الحديث النبوي تعدّ من الوسائل الفنية الرّاقية التي تقرّب المعاني وتزيدها وضوحا وتأكيدا، وقد استعملت في الحديث النبوي بشتى ألوانها وأشكالها سعيا لتوضح معاني الدين وحرصا على إفهامها للمخاطبين واستيعابها، فهي أي الصورة التشبيهية على حدّ تعبير الدكتور فايز الداية: «تضع بين قارئها أو سامعها معطياتها بلا مواربة، وتسعى إلى إغناء أبعادها بتفصيلاتها الداخلية والألوان والمحسوسات الأخرى»[3]، وسيتضح في هذه النماذج الموردة من كتاب الإيمان لصحيح البخاري بجلاء استخدام الحديث النبوي لهذه الصورة الفنية، وتوظيفه لها في إيضاح معالم الدين وتقريرها بأسلوب فنيّ راق.

في قوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[4] قال الإمام العيني رحمه الله «... وفيه تشبيه الإيمان بشجرة ذات أغصان، وشعب كما شبّه في الحديث السابق الإسلام بخباء ذات أعمدة وأطناب، ومبناه على المجاز، وذلك لأنّ الإيمان في اللغة التصديق، وفي عرف الشرع تصديق القلب، واللسان، وتمامه وكماله بالطاعات، فحينئذ الإخبار عن الإيمان بأنّه

(1) انظر: الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، بهامشه بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (عبد المتعال الصعيدي)، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1430هـ/2009، ج3، ص413-420.

(2) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، د.ط، تحقيق علي محمد البجاوي ـ أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1406هـ/1986، ص243.

(3) جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي: ط2، بيروت، دار الفكر، 1990، ص143.

(4) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ﴾، رقم9، ج1، ص22، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مجلة المعيار
المنارة للاستشارات

بضع وستعون شعبة، أو بضع وسبعون شعبة، ونحو ذلك يكون من باب إطلاق الأصل على الفرع، وذلك لأنّ الإيمان هو الأصل، و الأعمال الفروع منه...»[1].

فالشيخ ﵀ يشير إلى التعبير البلاغي في الحديث وهو التشبيه، حيث شبّه ﷺ الإيمان ولوازمه من خصال وصفات بالشجرة الكبيرة التي تحمل شعبا كثيرة، كل شعبة منها تتفرع إلى فروع، فالإيمان هو أصل الشجرة بما في ذلك جذوعها وسيقانها، ومكملات الإيمان هي السبعون شعبة، وهذا النوع من التشبيه التمثيلي جاء على سبيل الاستعارة بالكناية، حيث حذف المشبه به وهو الشجرة، وأتى بشيء من لوازمها وهي الشعب والفروع على سبيل المجاز، وقد أشار الشيخ ﵀ إلى ذلك حيث قال: «ومبناه على المجاز... ونحو ذلك يكون من باب إطلاق الأصل على الفرع، وذلك لأنّ الإيمان هو الأصل، والأعمال الفروع منه...»، في قوله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما، وأنّ يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[2] قال ﵀ «... قوله كما يكره أن يقذف في النار تشبيه، وليس باستعارة، لأنّ الطرفين مذكوران فالمشبه هو العود في الكفر، والمشبه به، وهو القذف في النار، ووجه الشبه هو وجدان الألم، وكراهة القلب إيّاه»[3].

فالشيخ ﵀ يشير إلى الصورة البيانية في قوله ﷺ: «كما يكره أن يقذف في النّار» ويخبر أنّها تشبيه وليست باستعارة، لأنّ طرفي التشبيه مذكوران، فالعود في الكفر هو المشبه، والقذف في النّار هو المشبه به ووجه الشبه هو الألم الحاصل وكراهة القلب له، فالنبي ﷺ يصور لنا بتصوير فنّيّ بليغ بشاعة الكفر في نفوس المؤمنين عندما يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم ويستحوذ عليها، فهم يكرهون العود إلى الكفر كما يكره أحدهم أن يقذف في النّار فيقاسي حرّها ولهيبها، بخلاف الكافر الذي لا يبالي بذلك، والكفر أمر ليس محسوسا أو مشاهدا عينيا حتّى يحترز منه العبد ويحاذره، بخلاف الشيء المحسوس، لكنّ المؤمن يعرف حقيقة الكفر فيكره العود إليه ككراهته القذف في النّار.

في قوله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثمّ يقول الله تعالى

---

(1) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت، ج1، ص127.

(2) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم16، ج1، ص24، عن أنس ﵁.

(3) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ج1، ص149.

المنارة للاستشارات

أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد سودوا فيلقون في نهر الحياء أو الحياة شكّ مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنّها تخرج صفراء ملتوية»[1] قال ﷺ: «... قوله كما تنبت الحبة فيه تشبيه متعدد، وهو التشبيه من حيث الإسراع، من حيث ضعف النبات، ومن حيث الطراوة والحسن،والمعنى من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان يخرج من الماء نضرا حسنا منبسطا متبخترا كخروج هذه الريحانة من جانب السيل صفراء، وهذا يؤيد كون اللام في الحبة للجنس لأنّ بقلة الحمقاء ليست صفراء، إلاّ أن يقصد به مجرّد الحسن والطراوة، وقد ذكرنا وجه كونها للعهد...»[2]، فالشيخ ﷺ يشير إلى الصورة البيانية في قوله ﷺ: «كما تنبت الحبة» وهو التشبيه المتعدد المقصود به تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلاّ أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه، فالنبي ﷺ شبّه خروج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار ونبات أجسادهم مثل نبات الحبة التي هي برز البقول والعشب النابتة في البراري وجوانب السيولبسرعة، فالمعنى الأول هو سرعة نبات أجسادهم مثل سرعة نبات هذه الجبة بجانب السيل، والوجه الجامع بين الحبتين هو عدم الانتفاع بمقومات الحياة والنماء، فالحبة التي في القلب لم تنتفع بالإيمان الذي خالطها فلم تقدّم أعمال لصالحة ولا طاعات جليلة، وبالتالي لم تنموا، وكذلك الحبة التي بجانب السيل لم تنتفع بمقومات الحياة من نهر جاري وسيول جارفة، وبالتالي لم تنموا، ويوضح الدكتور أحمد ياسوف وجه المشاكلة بأسلوب رائع فيقول: «... وهي حبّة نبتت في القلوب، لم تتوافر لها مقومات الحياة، ولم ترو بالعمل الصالح لتنتعش، لذلك فهي منكمشة على ذاتها صلبة قاسية سوداء كطبائع المقصرين وأخلاقياتهم، والحبة تقع بجانب السيل خشية الانزلاق، والثبات ليس بجذر ضعيف تعبث به أصابع المياه، إنّما الثبات بإرادة الرحمان ولطفه»[3] والمعنى الثاني أنّ هذه الحبة تخرج صفراء ملتوية، ثمّ تبلغ قمتها في الاستواء والحسن والنّضارة، فكذلك نبات أجساد من خرج من النار وفي قلبه مثقال ذرة من

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم22 ج1، ص25، عن أبي سعيد الخدري.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري،ج1، ص172.

(3) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: ص335.

المنارة للاستشارات

إيمان فهي تكتمل وتستوي.

في قوله ﷺ: «بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي، وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجرّه، قالوا فما أوّلت ذلك يا رسول الله قال الدين»[1] قال رحمه الله: «وفيه من التشبيه البليغ، وهو أنّه شبّه الدين بالقميص، ووجه الشبه الستر، وذلك أنّ القميص يستر عورة الإنسان، ويحجبه من وقوع النظر عليها، فكذلك الدين يستره من النار، ويحجبه عن كل مكروه...»[2].

فالشيخ رحمه الله يشير إلى الصورة البيانية الواردة في الحديث وهي التشبيه البليغ، حيث شبّه ﷺ الدين بالقميص الملبوس، أو بالأحرى جسّم ﷺ الدين في شكل الثياب وهيئتها لجامع الستر بينهما، فكلّما طال القميص دّل على كمال دين صاحبه، وعمر رضي الله عنه من أكمل الناس دينا، فلذلك رآه ﷺ في منامه يجّر قميصه، وهذا النوع من التشبيه يسميه البيانيون التشبيه البليغ ووسمه بالبليغ لبلاغته في الحسن واللطف وموقعه من النفس ودقته في إيصال المعاني والتعبير عنها، فالمعنى المراد يحتاج إلى إعمال شيء من الفكر لا يمكن الوصول إليه مباشرة، وقد أشار الشيخ إلى الرابط بين المعنيين وهو الستر فكما أنّ القميص يستر البدن ويمنع من النظر إليه، ويزين صاحبه، فالدين يستر صاحبه من النار ويحميه من المكاره، ويجملّ روحه ويطّهره، فالمعنى الثاني المراد مترتب على فهم المعنى الأول، والجامع بينهما هو الستر.

في قوله ﷺ: «إنّ الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالرّاعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإنّ لكل ملك حمى، ألا إنّ حمى الله في الأرض محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب...»[3].

---

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ج1، رقم23 ص25، عن أبي سعيد الخدري.

(2) عمدة القاري: شرح صحيح البخاري، ج1، ص174.

(3) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم52، ج1، ص33، عن النعمان بن بشير.

المنارة للاستشارات

قال الإمام العيني: وقوله: «كراع يرعى حول الحمى هذا تشبيه حال من يدخل في الشبهات بحال الرّاعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنّه لا يأمن الوقوع فيه ووجه الشبه حصول العقاب بعدم الاحتراز في ذلك، فكما أنّ الرّاعي إذا جرّه رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى استحق العقاب بسبب ذلك، فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرّض لمقدماتها وقع في الحرام، فاستحق العقاب، فإن قلت ما يسمى هذا التشبيه قلت تشبيه ملفوف، لأنّه تشبيه بالمحسوس الذي لا يخفى حاله شبّه المكلف بالرّاعي، والنفس بالبهيمة بالأنعام، والمشتبهات بما حول الحمى، والمحارم الحمى، فيكون تشبيها ملفوفا باعتبار طرفيه، وتمثيلا باعتبار وجهه...»[1].

فالشيخ رحمه اللّه تعالى يوضح التصوير البلاغي في الحديث حيث أخبر أنّه تشبيه ملفوف باعتبار طرفيه المشبّه والمشبّه به، وتشبيه تمثيلي باعتبار وجه الشبه، فالنبي ﷺ شّبه محارم اللّه وهي حدوده وأوامره، ونواهيه بمحميات المرعى التي كانت تخصّص للملوك ترعى فيها أغنامهم بحيث لا يقترب منها عوّام النّاس وبقية الرّعاة فينأون بماشيتهم عن تلك المراعي خشية الرّعي فيها فيلحقهم العقاب، وهذا حال من يقع في الأمور المشتبهة ويقترب منها، فهو بذلك يقترب من الوقوع في محارم الله، فشّبه حاله بحال الرّاعي الذي لم يجعل بينه وبين المراعي المحمية حاجزا فترك ماشيته تدنو منه وترعى فيه، وذلك تقريبا للمعنى في الأذهان، وتحذيرا من الوقوع فيه، فهذا التشبيه منه ﷺ استعمل فيه أسلوبا غير مباشر للنهي عن الوقوع في محارم الله ومقارفتها، وهذا الأسلوب له تأثير على نفس السامع بخلاف لو استعمل ﷺ أسلوبا صريحا ومباشرا في النهي عن ذلك، لأنّ لفظة الرّاعي في هذا الحديث كما يقول بعضهم: جسّمت الخواطر القلبية في التردد بين الإقدام والإحجام في سلوك ما وموقف ما من مواقف الحياة...، كما أنّ لفظة وقع في الشبهات توحي بأنّ الخطأ يرمز إلى سفلية الشيطان، والطبع الحيواني من الإنسان[2]، وهذا تشبيه يمثل فيه الحديث لمعنى الوقوع في الشبهة بمثال حدود المرعى لتقريب هذا المعنى إلى الأذهان، وجعله ماثلا لكلّ من يهمّ بفعل أمر لا يعلم

---

(1) انظر: عمدة القاري، ج1، ص302.

(2) ينظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: أحمد ياسوف، ط2، سوريا، دار المكتبي، 1027هـ/2006، ص363.

مجلة المعيار
المنارة للاستشارات

حكم الله فيه، أوحكمه مختلف فيه بين العلماء، فكل هذا تشبيه وتمثيل، ومعناه ترك الإنسان ما يريبه إلى ما لا يريبه[1].

كما أنّ هذا التشبيه وضح صورة المنهي عنه بطريقة أروع وأجمل وأدق، وهذا كلّه له أثر بيّن في إيضاح المعاني وتقريرها.

فهذه النماذج الموردة توضح بجلاء استخدام الحديث النبوي للصورة التشبيهية بكل أنوعها، من تشبيه تمثيلي وبليغ ومتعدد وملفوف، وبذكر الأداة، ودون ذكرها، وهي تعطينا مدى عنايته ﷺ بهذه الصورة الفنية في تقريب المعاني وإيضاح أمور الدين، كما تبيّن عنايته صلى الله علية وسلم بكثير من عناصر الطبيعة والبيئة من خلا ضربه الأمثلة والشبه بها لما فيه ذلك من زيادة التأكيد والمبالغة في الإيضاح.

المبحث الرابع: الاستعارة في كتاب الإيمان من شرحه لصحيح البخاري

• المطلب الأول: تعريف الاستعارة

يذكر البلاغيون تعريفا للاستعارة على أنّها «ذكرك أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به، كما تقول في الحمام أسد، وأنت تريد به الشجاع، مدّعيا أنّه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخصّ المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سدّ طريق التشبيه بإفراده في الذكر، أو كما تقول إنّ المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية السبع، بادّعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئا غير سبع، فتثبت لها ما يخص المشبه به، وهو الأظفار، وسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب بينه، وبين الاستعارة...»[2].

• المطلب الثاني: الاستعارة في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري

إنّ الاستعارة من الأدوات والأساليب الجمالية الفصيحة التي تستعمل في التعبير النبوي، وذلك لما تضيفه من كثرة المعاني وتعددها بأسلوب وجيز، ولما تعبّر عنه من الاقتدار على الكلام والتفنن فيه، وذلك بإخراجه بأساليب لها أثرها العميق في الإقناع والتأكيد، وسيتضح في هذه النماذج الموردة من

---

(1) ينظر: الإيجاز وبلاغة الإشارة البيان النبوي: عبد الرحمان بودراع، ط1، المغرب، مطبعة الخليج العربي، 2009م، ص151.

(2) انظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السّكاكي، ط1، تعليق نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987، ص369.

المنارة للاستشارات

كتاب الإيمان لصحيح البخاري بجلاء استخدام الحديث النبوي لهذه الصورة الفنية، وتوظيفه لها في إيضاح معالم الدين وتقريرها بأسلوب فنيّ راق.

في قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[1] قال الإمام بدر العيني «وفيه الاستعارة بالكناية، لأنّه شبّه الإسلام بمبنى له دعائم، فذكر المشبه، وطوى ذكر المشبّه به، وذكر ما هو من خواص المشبه به، وهو البناء، ويسمى هذا استعارة ترشيحية، ويجوز أن يكون استعارة تمثيلية بأنّ تمثّل حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة، وقطبها التي تدور عليه الأركان هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وبقيّت شعب الإيمان، كالأوتاد للخباء، ويجوز أن تكون الاستعارة تبعية بأن تقدّر الاستعارة في بني، والقرينة الاسلام شبّه ثبات الإسلام، واستقامته على هذه الأركان ببناء الخباء على الأعمدة الخمسة، ثمّ تسري الاستعارة من المصدر إلى الفعل، وقد علمت أنّ الاستعارة التبعية تقع أولا في المصادر، ومتعلقات معاني الحروف، ثمّ تسري في الأفعال، والصفات، والحروف، والأظهر أن تكون استعارة مكنية بأن تكون الاستعارة في الإسلام، والقرينة بني على التخيل، بأن شبّه الإسلام بالبيت، ثمّ خيّل كأنّه بيت على المبالغة، ثمّ أطلق الإسلام على ذلك المخيل، ثمّ خيّل له ما يلازم البيت المشبّه من البناء، ثمّ أثبت له ما هو لازم البيت من البناء على الاستعارة التخيلية، ثم نسب إليه ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة...»[2].

فالشيخ رحمه الله يبيّن الصورة البيانية التي تضمنّها الحديث ويخبر بأنّها استعارة مكنية، حيث شبّه ﷺ الإسلام بمبنى له دعائم، فصرّح بالمشبّه وهو الإسلام، وطوى ذكر المشبه به بإضماره في نفسه مع إتيانه بشيء من خواص المشبه به ولوازمه، وهو هنا البناء، وهذا النوع يعرف عند البيانين بالاستعارة المكنية، أو استعارة بالكناية، ثمّ الشيخ بعد ذلك يجوز أن يكون هذا النوع استعارة تمثيلية، وذلك بجعل الإسلام وأركانه الخمسة كالخباء القائم على خمسة أعمدة قطبها هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وبقية الأركان هي الأوتاد التي يعتمد عليه الخباء، ثمّ يجوّز بعد ذلك أن يكون هذا النوع استعارة تبعية، ليعود بعدها

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، ج1، رقم8، ص22، عن ابن عمر.

(2) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج1، ص125.

مجلة المعيار
المنارة للاستشارات

ويرجّح أنّها استعارة مكنية تخيلية، حيث شبّه الإسلام بالبيت وأثبت له شيء من لوازم البيت وهو البناء على سبيل التخييل.

ولا شك ولا ريب أنّ الإسلام بناء متين له أركان ودعائم، غير أنّه يختلف عن البناء المادي، فهو بناء معنوي فكما يعمد البناء إلى عمارة أهل الأرض وإسكانهم، فالإسلام عمارة لقلوب المسلمين يعمل على إسكان نفوسهم وتطمينها بقواعده وأخلاقه وقيمه ومبادئه، وإذ كان البناء له دعائم وأركان يقوم عليها، فكذلك الإسلام له معاول ودعائم تمنعه من السقوط، وهي أركانه الخمس التي تعمل على تماسك هذا البناء، وهذا التماسك يكون باستقرار هذه الأركان وثباتها في نفوس المؤمنين فيعمدون للحفاظ عليها بالتزامها.

في قوله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما وأن يحب المرء لا يحبّه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

قال رحمه الله: «قوله حلاوة الإيمان فيه استعارة بالكناية، وذلك لأنّ الحلاوة إنّما تكون في المطعومات، والإيمان ليس مطعوما فظهر أنّ هذا مجاز لأنّه شبّه الإيمان بنحو العسل، ثمّ طوى ذكر المشبّه به، لأنّ الاستعارة هي أن يذكر أحد طرفي التشبيه مدّعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، فالمشبّه إيمان، والمشبّه به عسل، ونحوه والجهة الجامعة وهو وجه الشبه الذي بينهما، وهو الالتذاذ، وميل القلب، فهذه هي الاستعارة بالكناية، ثمّ لمّا ذكر المشبّه أضاف إليه ما هو من خواص المشبه به ولوازمه، وهو الحلاوة على سبيل التخيل، وهي استعارة تخيلية، وترشيح للاستعارة»[2].

فالشيخ رحمه الله يشير إلى الصورة البيانية في الحديث، ويخبر بأنّها استعارة مكنية في قوله عليه الصلاة والسلام «وجد حلاوة الإيمان» لأنّه عليه الصلاة والسلام أثبت للمشبه وهو الإيمان أمر مختص بالمشبه به وهو العسل في الحلاوة، لأنّ الإيمان ليس من المطعومات حتى تكون له حلاوة يتلذذ بها، وإنّما هو عبارة عن ميل القلب إلى الطاعة وانقياده لأوامر الله، فيكون هذا من باب الاستعارة المكنية لأنّه ذكر أحد طرفي التشبيه وادّعى دخول المشبه وهو الإيمان في جنس المشبه به وهو العسل أو غيره من الأشياء التي تكون

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم16، ج1، ص24، عن أنس رضي الله عنه.

(2) عمدة القاري: شرح صحيح البخاري، ج1، ص149.

المنارة للاستشارات

فيها حلاوة، ووجه الشبه هو حصول الالتذاذ، ثمّ أشار إلى النوع الآخر من الاستعارة التي تضمنّها الحديث وهي الاستعارة التخيلية، لأنّه ﷺ أثبت للمشبه شيء من خواص ولوازم المشبه به العسل وهو الحلاوة، لأنّه معلوم أنّه ليس هناك أمر ثابت حسا أو عقلا يؤكد أنّ للإيمان حلاوة، لكنّها مبالغة في التشبيه على سبيل التخيل.

والحلاوة هنا رمزية تترفع عن الحسي، ولكنّ التعبير الفني هنا يشرك الحاسة الذوقية لشمول الإيمان كلّ حواس المؤمن، وللدلالة على اختلاط ذرّات روحه وكيانه بمعطيات الإيمان... وهذه الحسية هنا ناجعة في فاعليتها، وذلك لتعلق العربي والإنسان عموما بالحسي وأنسه به، فتشكل الطبقة الحسية حافزا على الإيمان ومتطلباته، ولكن هذا لا يعني أنّ المسلم يحمل سطحية، فهو لا يطلب الإيمان ليتذوق الطعم الحلو، فالحلاوة تعني انشراح الصدر، والتلذذ الروحاني بإقامة الطاعات وتحمل المشاق في الدين، وهي حلاوة تتسم بالبرودة، ما دامت في الوجه للمقابل للقذف في النار[1].

في قوله ﷺ: (يخرج الله من النار من قال لا إله إلاّ الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله، وفي قلبه وزن برّة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير)[2]، قال الإمام العيني رحمه الله: «... وفيه استعارة بالكناية بيانه أنّ الوزن إنّما يتصور في الأجسام دون المعاني، والإيمان معنى، ولكن شبّه الإيمان بالجسم، فأضيف إليه ما هو من لوازم الجسم، وهو الوزن»[3].

في هذا الحديث كذلك يوضح الشيخ الصورة البيانية التي تضمنّها الحديث وهي الاستعارة المكنية، ثمّ يقوم بتحليلها مخبرا أنّ النبي ﷺ أثبت للمشبه وهو الإيمان أمر مختص بالمشبه به ـ الجسم ـ وهو الوزن، ذلك أنّ الوزن يتصور في الأجسام والإيمان من المعاني التي يستحيل أن توصف بالوزن الذي هو من لوازم الأجسام، وقد أفادت هذه الاستعارة المكنية بيان منزلة الإيمان وفضله عند الله تعالى، حيث أثبت له معيار وميزان يزيد به وينقص

---

(1) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: أحمد ياسوف، ص557-558.

(2) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم44، ج1، ص30، عن أنس رضي الله عنه.

(3) انظر: عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ص 260.

المنارة للاستشارات

على حسب تفاوت درجاته في قلوب الناس، كما أنّ الأشياء المحسوسة التي تختص بالزيادة والنقصان يعرفها الناس و يعاينونها، فالنبي ﷺ أراد أن يثبت زيادة الإيمان ونقصانه، فتلطف في ذلك عندما شبّهه بالزيادة والنقص اللتان تكونان في الشيء المحسوس، فجعل بهذا التشبيه دليلا قاطعا على زيادة الإيمان ونقصانه، وذلك أنّه إذا كان يوزن، فلازم إذن له الزيادة والنقصان، فالاستعارة هنا أكدّت هذا الأمر وأثبته بخلاف ما لو صرح ﷺ مباشرة بأنّ الإيمان يزيد وينقص.

ولقد اتضح من خلال هذه النماذج الموردة مدى جمالية الاستعارة في الحديث النبوي، فهي قد استعملت ووظفت لتوضيح وتقريب كثير من المعالم والأفكار من خلال إعمال عنصر المشابهة بين أمور الدين وأمور مادية محسوسة أخريسعيا للتجسيم والتشخيص، ولزيادة الإقناع والإفهام بأسلوب جمالي رائع.

المبحث الخامس: الكناية في كتاب الإيمان من شرحه لصحيح البخاري

- **المطلب الأول: تعريف الكناية**

لغة: هي مصدر كنيت عن كذا أو كنوت عنه إذا تركت التصريح، وجاء في لسان العرب لابن منظور ما نصّه: «الكناية أَن تتكلم بشيء وتريد غيره وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية يعني إِذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه...»[1].

فالمدلول اللغوي للكلمة يفيد أنّ معناها يرجع إلى ترك التصريح بالشيء والتعبير عنه بشيء آخر من لوازم ذلك الذي لم يفصح به.

اصطلاحا: عرّفها البلاغيون بأنّها «ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول فلان طويل النّجاد لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة»[2]، والكناية عن الشيء أبلغ من الإفصاح عنه، والكناية لها فضل ومزية في تحسين الكلام، ومزيّتها تكمن في إثبات الشيء وتقريريه، وتوكيده.

- **المطلب الثاني: الكناية في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري**

إذا كانت الكناية أبلغ من الإفصاح في كلام العرب، فإنّها في حديث رسول

(1) باب الكاف، مادة كنى، ج15، ص233.

(2) انظر: مفتاح العلوم، السّكاكي، ص402.

المنارة للاستشارات

الله ﷺ آكد وألزم وأبلغ، لأنّ لها ضرورة تقتضيها، وهي التعبير عن أمور الدين وأفكاره بطريقة جمالية مهذبة، حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه، فإذا كان القرآن يكني عن سفاسف الأمور ومستقذراتهابأجمل العبارات وأرفعها مظهرا سموه وعلوه، فكذلك كلامه ﷺ فهو وحي من عند الله تعالى، إضافة إلى عنصر التأكيد والإثبات للمقاصد المروم تقريرها من أمور الدين.

في قوله ﷺ: «بايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا، ثمّ ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه...»[1].

قال رحمه الله: «...ومنها ما قيل فما معنى إضافته إلى الأيدي و الأرجل، وأجيب بأنّ معناه ولا تأتوا ببهتان من قبل أنفسكم، واليد والرجل كنايتان عن الذات لأنّ معظم الأفعال يقع بهما، وقد يعاقب الرجل بجناية قولية، فيقال له هذا بما كسبت يداك، ولا تغشوه من ضمائركم، لأنّ المفتري إذا أراد اختلاق قول، فإنّه يقدّره، ويقرّره أوّلا في ضميره، ومنشأ ذلك ما بين الأيدي، والأرجل من الإنسان، وهو القلب، والأول كناية عن إلقاء البهتان من تلقاء أنفسهم، والثاني عن إنشاء البهتان من دخيله...»[2]، فالشيخ رحمه الله يوضح الصورة البيانية التي تضمنّها الحديث وهي الكناية، وذلك في تعبيره صلى الله عليه عن الذات بالأيدي والأرجل، وهذا ذائع وشائع في استعمال العرب، وجاء في التنزيل، فالمولى جَلَّ وَعَلَا دائما يلوم الكفار ويوبخهم على جزاء أعمالهم بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[آل عمران: 182]. والقائم بالأفعال إمّا الأيدي أو الأرجل، ومنشأ ذلك من القلب الذي يقرر فيه العزم على القول والفعل.

وقد فسّر البهتان الذي نهوا عن افترائه وإتيانه بين أيدهن وأرجلهن على أنّه ما يكون من إلحاق المرأة بزوجها ولدا من غيره، لأنّ الولد إذا ولدته أمه سقط بين يديها ورجليها، وقيل: إنّ المعنى أن تأخذ لقيطا فتلحقه بزوجها وهذا من

(1) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان جب الأنصار، رقم18، ج1، ص24، عن عبادة بن الصامت.

(2) عمدة القاري: شرح صحيح البخاري، ج1، ص159.

مجلة المعيار
المنارة للاستشارات

الافتراء باليد، والافتراء بالرجل أن تلده من الزنا ثم تلحقه بزوجها[1]، وإذا حمل البهتان على هذا المعنى، فتكون فائدة الكناية في هذا الحديث هي المبالغة في ستر ما يقبح ذكره والتصريح به لأنّه من المستقذرات والمستقبحات، فالإعراض عنه والإيماء إليه أبلغ في الكلام سيّما إذ كان صادرا من الشارع الحكيم أو من النبي ﷺ، وهذا أحد أغراض الكناية ومقصد من مقاصدها الذي يعبر عن جمالها ومدى أثرها في تحسين الكلام وتزييته.

في قوله ﷺ: (يا سعد إنّي لأعطي الرجل، وغيره أحبّ إليّ منه خشية أن يكبّه الله في النار)[2] قال رحمه الله: «وفيه من باب الكناية، وهو في قوله خشية أن يكبّه الله في النار، لأنّ الكبّ في النار لازم الكفر، فأطلق اللازم، وأراد الملزوم، وهو كناية، وليس بمجاز، فإن قلت لم لا يكون مجازا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم إذ الملازمة في الكناية لا بدّ أن تكون متساوية ؟ قلت شرط المجاز امتناع معنى المجاز والحقيقة، وههنا لا امتناع في اجتماع الكفر والكب، فهو كناية لا غير...»[3].

فالشيخ رحمه الله يوضح الصورة البيانية التي تضمنّها الحديث وهي الكناية لأنّ النبي ﷺ أتى بلفظة خشية أن يكبه الله في النار وأراد بها لازم معناها وهو الكفر، لأنّ الكبّ في النار لازم الكفر، فأطلق ﷺ اللاّزم وأراد الملزوم، ثمّ ينفي الإمام بدر الدين العيني أن يكون هذا من قبيل المجاز، لأنّ هناك فرق بين الكناية والمجاز كما هو معلوم عند البلاغيين، فالكناية مبناها على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم[4].

كما أنّ المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة ـ يعنى شرط المجاز امتناع الحقيقة ـ وهذا ما قرّره الشيخ، ثمّ أكدّه بأنّه لا تنافي في اجتماع الكفر مع الكبّ فيكون هذا من باب الكناية، والضمير في يكبه راجع على الرجل الذي خصّه النبي ﷺ بالعطاء دون الرجل الذي مدحه سعد وشهد له رضي الله عنه بالإيمان، فالنبي ﷺ كان يخص ضعاف الإيمان وجديدي الإسلام بالعطاء

---

(1) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ج1، ص61.

(2) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، رقم27، ج1،ص26، عن سعد بن أبي وقاص.

(3) عمدة القاري: شرح صحيح البخاري، ج1، ص194-195.

(4) انظر: مفتاح العلوم: السّكاكي، ص403.

المنارة للاستشارات

والتوسيع لهم فيه تألفا لقلوبهم لأنّه يخشى إن لم يعطهم أن يحصل لهم في قلوبهم شيء فيرتدوا بسببه فيكفروا، فيكبهم الله في النار بسبب كفرهم، أمّا من تغلل الإيمان في قلوبهم من الصحابة، فإنّه لا يخصهم بذلك عليه الصلاة لأنّه مطمئن عليهم، وبهذا يكون النبي ﷺ في هذه الكناية قد أثار أسلوبا غير مباشر لسعد في الكلام حتّى يفهمه لأنّ طبيعة المقام تستدعي ذلك و تقتضيه، فالكناية هنا أبلغ من الإفصاح، لأنّه ﷺ لو أشار إلى المعنى مباشرة بحضرة الصحابة لكان فيه نوع من الحرج، ولكنّه كنى عنه إثباتا وتقريرا له، وهذا مقصد من مقاصد الكناية وغرض من أغراضها.

ومن خلال هذين النموذجين اتضح وتبيّن أنّ الكناية في الحديث النبوي تتسم بالدقة في إيصال المعاني وتقريرها متخذة منهج التلطف والترفع والتأدب في العبارة بالإضافة إلى رعاية المقام وأحوال المخاطبين، وهذا أحد سمات البلاغة العالية، وإن كان هذان النموذجان لا يفيان بالغرض لأنّ المقام لا يسمح ويسنح بذلك، ففي النصوص النبوية كم هائل من الكنايات والإشارات والإيماءات الرّائعة ذات الأسلوب الجمالي الراقي، استعملت ووظفت لأغراض ومقاصد نبيلة تتلاقى مع جمال الشريعة وروحها الفياض.

خاتمة

من خلال هذا الدراسة التي أوردتها يتضح بجلاء بلاغة النبي ﷺ، ويتأكد أنّه أوتي عليه أفضل الصلاّة وأتمّ التسليم جوامع الكلم، فكانت سنّته القولية منتهى الفصاحة وروضا نضيرا من نواضر البلاغة، غير أنّها تحتاج إلى من يبيّنها ويشرحها ويحللها ويقربها إلى الأذهان، وهذا ملقى على عاتق العلماء، وممّن قام بهذا المهمة الإمام بدر الدين العيني، فمن خلال هذه الرحلة العلمية معه في شرحه لكتاب الإيمان من صحيح البخاري ألفينا جهدا بلاغيا عظيما، حرص في كلّ حديث تناوله بالشرح أن ينبه على ما تضمنّه من مباحث التشبيه ولاستعارة والكناية، محللا إيّاها بطريقة علمية رائعة سهلة التناول، وفي هذا العرض المقدّم دعوة للاعتناء بالبلاغة النبوية من خلال الحرص على تجليتها وتقريبها إلى الأفهام بجعلها عمدة في تدريس البلاغة العربية، وذلك بالاستشهاد على المباحث البلاغية بالنصوص النبوية. ■

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر والمراجع

- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ط1، القاهرة، دار ابن الجوزي، 1431هـ/2010.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرّافعي، ط1، القاهرة، مكتبة الإيمان، 1417هـ/1997.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: نورالدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، د.ط، تحقيق محمد الصباغ، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1391هـ/1971.
- الإيجاز وبلاغة الإشارة في الحديث النبوي: عبد الرحمان بودراع، ط1، المغرب، مطبعة الخليج العربي، 2009م.
- الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، 1430هـ/2009.
- البيان والتبيين: الجاحظ، ط1، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1968م.
- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه: محمد بن إسماعيل البخاري، د.ت، بيروت، دار الفكر، 1424هـ/2003.
- الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، 1275هـ/1952.
- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف: أحمد ياسوف، ط2، سوريا، دار المكتبي، 1027هـ/2006.
- الضوء اللّامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السّخاوي، د.ط، بيروت، منشورات مكتبة دار الحياة، د.ت.
-. الوافي بالوافيات: خليل بن أيبك الصفدي، د.ط، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، أحمد التركي، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ/2000.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، د.ط، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، د.ت.
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، د.ط، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- حلية اللّب المصون في شرح الجوهر المكنون: أحمد الدّمنهوري، د.ط، مصر، المطبعة الأزهرية المصرية، 1309هـ.

المنارة للاستشارات

- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ط3، تعليق: محمود محمد شاكر، مصر، مطبعة المدني، 1413هـ/1993.
- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني، د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، د.ط، تحقيق: علي محمد البجاوي، أبو الفضل محمد إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1406هـ/1986.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط1، بيروت، دار صادر، د.ت.
- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السّكاكي، ط1، تحقيق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987.

المنارة للاستشارات